التَّارِيخُ: 01.11.2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...

لِكُلِّ نَفْسٍ حَصَانَةٌ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ اِجْتَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الكِرَامُ فِي عَرَفَاتٍ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَعْلَنَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ (ص) عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ وَرِسَالَاتِ الإِسْلَامِ العَالَمِيَّةِ وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ وَحُرِّيَّاتِهِ. وَمِنَ الرَّسَائِلِ المَشْحُونَةِ بِالحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ الَّتِي سَتُعْرَفُ بِ "خُطْبَةِ الوَدَاعِ" بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ، حَصَانَةُ النَّفْسِ، فَقَدْ خَاطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البَشَرِيَّةَ فِي خُطْبَةِ الوَدَاعِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: **" أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَ أَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا..."**[1] .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ الإِنْسَانَ فِي دِينِنَا الإِسْلَامِيِّ الحَنِيفِ هُوَ أَسْمَى الكَائِنَاتِ وَأَعْظَمُهَا قَدْرًا وَهُوَ جَدِيرٌ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الِاحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ. وَبِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِ وَلُغَتِهِ وَلَوْنِهِ فَإِنَّ لِجَسَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى حُرْمَةً وَحَيَاتُهُ مُقَدَّسَةٌ. لِهَذَا السَّبَبِ، لَا يُمْكِنُ إِنْهَاءُ حَيَاةِ الجَنِينِ فِي الرَّحِمِ عَنْ طَرِيقِ الإِجْهَاضِ مَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ ضَرُورِيٌّ طِبِّيٌّ وَشَرْعِيٌّ دِينِيٌّ. وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُنْهِيَ حَيَاتَهُ بِالِانْتِحَارِ. وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الِاحْتِمَاءُ وَرَاءَ العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ لِإِزْهَاقِ حَيَاةِ أَحَدٍ بِتَبْرِيرِ الشَّرَفِ. لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُعَاقِبَ المُذْنِبَ بِوَضْعِ نَفْسِهِ مَكَانَ الدَّوْلَةِ. وَبِاخْتِصَارٍ، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَاوِلَ إِزْهَاقَ حَيَاةِ شَخْصٍ آخَرَ أَوْ الِاعْتِدَاءَ عَلَى جَسَدِهِ أَوْ إِهَانَةَ شَرَفِهِ وَكَرَامَتِهِ. وَالحَقِيقَةُ أَنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي الآيَةِ الَّتِي قَرَأْتُهَا فِي بِدَايَةِ خُطْبَتِي مَا يَلِي: **"وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"**[2] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُؤْسِفٌ أَنْ يُصْبِحَ عَالَمُنَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ غَيْرَ قَابِلٍ لِلْحَيَاةِ. فَالظَّالِمُونَ الَّذِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِحَقِّ الحَيَاةِ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمْ يَرْتَكِبُونَ إِبَادَةً جَمَاعِيَّةً لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مَثِيلٌ فِي التَّارِيخِ فِي الأَرَاضِي الإِسْلَامِيَّةِ وَخَاصَّةً فِي غَزَّةَ. وَلِلْأَسَفِ، نَحْنُ كَمُسْلِمِينَ نَفْقِدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَسَاسِيَّتَنَا الإِسْلَامِيَّةَ وَحَسَاسِيَّتَنَا الأَخْلَاقِيَّةَ. فَالعُنْفُ فِي الأُسْرَةِ وَالمَدْرَسَةِ وَالعَمَلِ وَالمُرُورِ فِي ازْدِيَادٍ مُسْتَمِرٍّ بِسَبَبِ أُنَاسٍ لَمْ يَأْخُذُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الإِنْسَانِيَّةِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الحِقْدُ وَالعَدَاوَةُ وَالطَّمَعُ وَالجَشَعُ. فَالكَثِيرُ مِنَ الأَبْرِيَاءِ يُقْتَلُونَ وَالكَثِيرُ مِنَ القُلُوبِ تَحْتَرِقُ. وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْسَى أَبَدًا أَنَّهُ مَا لَمْ تُوضَعْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مَخَافَةُ اللَّهِ وَوَعْيُ الآخِرَةِ وَوَعْيُ المُحَاسَبَةِ وَالمُسَاءَلَةِ، وَمَا لَمْ تُطَبَّقْ اَلْعُقُوبَاتُ الرَّادِعَةُ عَلَى المُجْرِمِينَ فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَمِرُّونَ فِي إِرْتِكَابِ الجَرَائِمِ. وَحِذْيرُ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هذا الصَّدَدِ وَاضِحٌ جِدًّا: **"وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"**[3]. نَعَمْ إِنَّ العُقُوبَاتِ الرَّادِعَةَ التي سَتُطَبَّقُ عَلَى المُجْرِمِ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ وَأَمَامَ القَانُونِ سَتُنْقِذُ الْكَثِيرَ مِنَ الأَرْوَاحِ البَرِيئَةِ وَسَتُطْفِئُ نَارَ القُلُوبِ المُحْتَرِقَةِ. وَهَاهُوَ نِدَاءُ القُرْآنِ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ: **"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ"**.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

نَحْنُ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ امَنَّا بِرَبِّنَا الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بِكُلِّ قُلُوبِنَا، نَحْنُ أُمَّةُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ: **"اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"**[4]. فَوَاجِبُنَا أَنْ لَا نَتَخَلَّى عَنِ الرَّحْمَةِ وَلَا نُؤْذِيَ أَحَدًا بِأَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا، وَأَنْ لَا نَلْجَأَ إِلَى العُنْفِ، نَاهِيكَ عَنْ قَتْلِ إِنْسَانٍ مَّا، يَجِبُ أَنْ نَتَجَنَّبَ كَسْرَ قَلْبِهِ وَإِيذَاءِهِ، وَأَنْ نُرَبِّيَ أَبْنَائَنَا وَشَبَابَنَا عَلَى أَنْ يَكُونُوا أُنَاسًا مُخْلِصِينَ لِدِينِهِمْ وَنَافِعِينَ لِأُمَّتِهِمْ وَلِلبَشَرِيَّةِ. وَأَنْ نُعْطِيَهُمْ حَيَاةً بِدِمَائِنَا وَأَعْضَائِنَا لِمَنْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَسْتَعِيدُوا عَافِيَتَهُمْ، وَلِمَنْ يُحَاوِلُونَ التَّمَسُّكَ بِالْحَيَاةِ فِي زَوَايَا المُسْتَشْفَيَاتِ. فَلَا نَنْسَى أَنَّنَا عِنْدَمَا نُقَدِّسُ حَيَاةَ جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا نُقَدِّسُ حَيَاتَنَا، وَنَتَمَنَّى الخَيْرَ لَهُمْ كَمَا نَتَمَنَّاهُ لِأَنْفُسِنَا، فَسَنَكُونُ مُؤْمِنِينَ كَامِلِينَ ومُسْلِمِينَ صَالِحِينَ.

---

[1] الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْعِلْمِ،9.

[2] سُورَةُ النِّسَاء،93/4.

[3] سُورَةُ الْبَقَرَةِ، 179/2.

[4] ابْنُ حَنْبَلٍ،الْجُزْءُ السَّادِسُ،22.